مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٧) العدد (١)
الإصدار الحادي العشرون
٢٠٢٤ (٤٢٣-٤١٢)

أثر السياق في درء الإخلال بالقطع في لغة القرآن الكريم –دراسة في احتمال المشترك اللفظي–

الدكتورة: بله باسي رفيقة

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٢ مارس ٢٠٢٤م

الملخص

في سعيهم الدائم وراء المعرفة الراسخة شكّل الوصول إلى القطع واليقين هاجسا كبيرا في اذهان العلماء خاصة عند الأصوليين ،ذلك أنّ أصول الفقه هي القواعد التي تنبني عليها جميع الاحكام ،لذا فإنّ مسألة القطع من المسائل المهمّة في علم أصول الفقه والتي اعتنى بدراستها العلماء قديما وحديثا .ولّما كان للقطع عوارض وموانع تشوبه فتشوّشه وتتحدّ منه كالمشترك اللفظي كان لزاما على السّياق التدّخل ،ذلك أنّ له بالغ الأثر وكبير الأهمّية في كشف اللّثام ،وإزالة اللّبس عن المعاني فكان محلّ دراسة العلماء على اختلاف مشاربهم

الكلمات المفتاحية: السياق، النظرية السياقية، القطع، سلطانا.

Abstract

In their constant pursuit of strong knowledge, access to certainty was a major concern in the minds of scholars especially among fundamentalists because jurisprudence is about the principles on which law is based. Therefore, certainty is one of the important issues of jurisprudence which has been studied by scholars till now. Since jurisprudence is limited by certain inhibitions, it was necessary for the context to intervene as it has a very important role in revealing the unveiling and removing confusion about meaning that's why scholars of all stripes has been interested in.

Keywords: Context, Contextual theory, certainty, Authority.

*** تقديم**

لا يخفى على أحد من المشتغلين بالبحث في النص الشرعي أنّ قدرا غير هيّن من تفسيره وفهمه، وإصابة مراميه ، وإدراك مقاصده متوقّف على النظرية السياقية ، والداعي إلى النظر في السياق هو عدم وفاء النص بالبيان عن مراده مستقلاّ ،فيُستعان على بلوغ المراد بكلّ ما يشير إلى المقصود ، ثم إنّ عدم الوفاء في البيان استقلالا عن السياق يكمن في قصور اللفظ إفرادا وتركيبا عن الإشارة إلى المراد منه على نحو قاطع جازم ، واللفظ إنّما يكون في هذه الحال بسبب من أسباب تعرض له فتعدل به عن الأصل من وضعه،وهو الإبانة ،وخروجه عن الإبانة يُوقعه في الإبهام واللبس الذي هو احتماله لأكثر من معنى كذلك الأمر بالنسبة للمشترك اللفظي ،لذا كانت النظرية السياقة من أهمّ ما يجب الأخذ به لدرء هذه الاحتمالات من هنا كان هذا المقال بعنوان " أثر السياق في توجيه معنى المشترك اللفظي في القرآن الكريم" ومن هنا نطرح الإشكال التالي: هل يُعوّل على السّياق في فهم النّص الشّرعي من جميع جوانبه مهما كان عمقه ودقّته ؟

أولا السّياق

١- مفهومه

لغة: يقول ابن فارس:" السين والواو القاف أصل واحد وهو حدو الشيء يقال :ساقه ويسوقه سوقا" [1].

وفي لسان العرب" انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت والمساوقة :المتابعة ،كأنّ بعضها يسوق بعضا"[2].

فنتبيّن مما سبق أنّ معنى السّياق هو القيادة والتوجيه ،وكذا تتابع الشيء على نسق واحد.

اصطلاحا :وردت تعريفات عديدة للسّياق منها :"السّياق فهم النص بمراعاة ما قبله ،وما بعده"[3]

وهو أيضا"الكلام المتتابع إثره على إثر بعض، المقصود للمتكلم، والذي يلزم من فهمه شيء آخر"[4]

زمنا كذلك "السّياق تلك المعاني التي تفهم من تراكيب الخطاب،ويشعر المنطوق بها بواسطة القرائن المعنوية".[5]

ومن هنا تظهر العلاقة بين المدلولين اللغوي والاصطلاحي ،فإذا كان السوق يقع حسيا كسوق الإبل ،ومعنويا كسوق الكلام فإنّ القرائن التي تساق في الخطاب قد تكون معنوية ،وقد تكون حسّية والأمر المشترك بين السوق الحسي والمعنوي هو الاتصال والمتابعة.

---

[1] مقاييس اللغة، ابن فارس ،3تح عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط/2، 1392ه ،117/3.

[2] لسان العرب، ابن منظور، دار صابر، بيروت، ط/1، 435/6.

[3] دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، عبد الحكيم القاسم، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ص61.

[1] الأدلة الاستثنائية، أشرف الكناني، دار النفائس، الأردن ط2005،1، ص220.

المنهج الأصولي ي فهم الخطاب، إدريس حمادي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ،1998، ص45.[5]

٢- أنوعه

السّياق عند اللّسانيين سياقان: داخلي وخارجي ويتعلق الأوّل باللّغة وتراكيبها من حيث موقع الكلمة بين أخواتها، فينظر في تسييق الكلمة داخل الجملة، وفي تسييق الجملة داخل النّص الكلي ومن هنا أسموه: السّياق اللّغويّ ،أمّا السّياق الخارجي فنعني به الخلفية غير اللّغوية للكلام أو النّص، أي مجموع العناصر غير اللّغوية التي يكتسب الكلام أو النّص من خلالها تمام معناه في الاستعمال، ومن هذه العناصر –وهي تصحّ في النّص أيضا- الكلام السّابق والإطار الاجتماعي الذي يتمّ فيه الكلام ومستوى العلاقة بين طرفي الكلام اجتماعيا وثقافيا"،[6] أي أنّه جوّ النّص والظّروف الخارجيّة المصاحبة لذلك، ويشمل المتكلّم والسّامع والمتلقّي وما يصحب ذلك من ظروف نفسية وغيرها وطرق اتّصال الكلام وظروف البيئة والحدث.

كما يسمّى هذا السّياق بالسّياق غير اللّغوي أو السّياق الحالي، كما يضمّ هذا النّوع من السّياق سياقات متنوّعة مثل السّياق العاطفي، والسّياق الثّقافي ولكل منهما دور في تحديد المعنى.[7]

ويبدو أنّ القدماء عندما استخدموا مصطلح سياقة الكلام ومساق الكلام لم يكن ليدور بفكرهم فصل سياق اللّغة عن سياق غير اللّغة و لم يكن لديهم تفريق على هذا المستوى لأنّ دراستهم كانت منصبّة على الشّرح والتّفسير لكلّ ما هو مدروس لديهم لغة أو شعرا أو حديثا أو قرآنا لذلك نجدهم يلحظون الظّرف الخارجي للنّص ومناسبته وموقف الحال.[8]

إلاّ أنّه في الدّراسات اللّغوية الحديثة جرى التّفريق بين السّياق اللّغوي والسّياق غير اللّغوي، وإنّه ما يستقرّ عليه الرّأي أنّ كليهما عنصران لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.[9] ولعلّ هذا التّفريق منشؤه من قيام دراسات لغويّة حديثة على اللّغة في العصر الحديث عند دوسوسيربجعله للسّياق اللّغوي أساسا في دراسة العناصر في داخل النّص يحدّدها العناصر التي تربط كل لفظة بأخرى، و لم يلحظ المكوّن الخارجي للنّص،[10]وما جرى بعده من دراسات لغوية نقدية على يد مالينوفسكي-بمصطلحه سياق الحال وما أضافه فيرث من أنّ السّياق يشمل البيئة والظّرف الّذي وقع فيه النّص ومن ثمّ جرت الدّراسات اللّغوية النّقدية على السّياق بشموله جميع المكوّن الكلامي للموقف وشخصية المتكلّم والسّامع وتكوينهما والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللّغة وسلوكها، وما أثر النّص في المتلقين والسّامعين ودور كلّ منهما من النّاحية الاجتماعية.[11]

علم الدلالة النظرية والتطبيق، د فوزي عيسى ود: رانيا فوزي عيسى، دار المعرفة الجامعية، دط،2013، ص:114.[6]

المرجع نفسه، ص:115.[7]

ينظر أثر السياق في توجيه المعنى القرآني من خلال جزء عم، محمود حسين الزهري، دار وائل للنشر،الأردن، ط /1 2014،ص208[8]

علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط، د ت)، ص:290[9]

أثر السياق في توجيه المعنى القرآني من خلال جزء عم، د محمود حسين الزهري، ص:208.[10]

ينظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، ص:339،338.[11]

*** السياق عند العلماء**

العرب: ونبدأالحديث بإمام النحاة سيبويه ،فرغم أنه لم يشر صراحة للسّياق اللغوي إلا أنّه وجّه كثيرا من التراكيب اللغوية توجيها قائما على مراعاة السّياق وتحدّث عن الاستفادة والإحالة فقال:" فمنه مستقيم حسن ،ومحال ،ومستقيم كذب ومستقيم قبيح ،وما هو محال كذب ، فأمّا المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس ،وسآتيك غدا. وأمّا المحال :فأن تنقض أوّل كلامك بآخره فتقول:أتيتك غدا ، وسآتيك أمس .وامّا المستقيم الكذب فقولك حملت الجبل ،وشربت ماء البحر ونحوه ،وأمّا المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غي موضعه نحو قولك:قد زيدا رأيت ،وةكي زيدا يأتيك وأشباه هذا ،وأما المحال الكذب كأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمسا"[12]وهذه التراكيب التي لها لة بالسّياق تعدّدت في العربية وتباينت فيما بينها تبعا لطبيعة ذاك التراصف وملابسات السّياق ممّا استدعى ظهور أنماط تركيبية يقبل بعضها ويرفض بعضها الآخر ،وقد تكفّل سيبويه بعضا منها بإعطاء أملة كلامية قوامها الكلام العربي.[13]

واستطاع سيبويه من خلال هذه الإشارة إلى التّنوّع في التراكيب ان يمهّد للذّي يأتي بعده لتحديد أهمّية السياق في تحديد الظروف المحيطة بالمعنى.

امّا ابن جنّي فقد اشتهر بما يسمّى بالسياق الحالي او المقامي عند قوله على قول الشاعرك

تقول وصكّتوجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فقال :" لو كان حاكيا عنها :(أبعلي هذا بالرحى المتقاعس)من غير أن يذكر صكّ الوجه لأعلمنا هذا بأنّها كانت متعجّبة متنكّرة، لكنّه لما حكى الحال فقال:وصكّت وجهها علم بذلك قوّة إنكارها ،وتعاظم الصورة لها ،مع أنّك سامع لحكاية الحال ،غير مشاهد لها ،ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ،وبعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين "[14]

ويقول الدكتور عرغات المنّاع شارحا كلان ابن جني :" فسياق الموقف القولي تمثّل بحكاية الراوي لحال المراة :صكّت وجهها ، وكيف أثّرت معرفتها بحال المرأةوإدراكنا لقوّة إنكارها ،وأمّا إذا حضر سياق الموقف الفلي المتمثّل في رؤيتنا لحال المرأة، فإنّه سوف يوضّح لنا ما أراده الشاعر بشكل أكبر إذ لا يحمل السّياق القولي كل ما يمكننا مشاهدته من حال المرأة إذا ما كنّا حاضرين هذه الحادثة فصكّ الوجه قد ترافقه أشياء تؤثر في فهمنا للنّص ،ومنها حركات المرأة غي صكّ الوجه كهيئتها وطريقةانزوائها ،وغيره ومنها ردّة فعل المشتركين غي إزاء ما قيل ،وأشياء أخرىكثيرة".[15]

واعتماد هذين الإمامين:سيبويه وابن جني ،ما هو إلّاتمثيل فقط لمكان الساق في الفكر اللغوي العربي .

الكتاب، سيبويه، تح عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط/2، 1979/25.[12]

أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، خديجة الصافي، دار السلام، القاهرة، ط/1، 2009 نص103.[13]

الخصائص، ابن جني نتح محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت ،246/1.[14]

السياق والمعنى، دراسة في أساليب النحو العربي، عرفات فيصل المناع، منشورات الاختلاف، الجزائر، ومنشورات ضفضاف، لبنان، ط/1، 2013.[15]

أمّا الأصوليون فهم على غرار غيرهم من العلماء قد أولوا السياق بالغ الأهمّية ذلك أنّه يُعدّ أحد أبرز أدوات الاستدلال الاصولي التي لها وزنها الثقيل في مجال الكشف عن مراد الله تعالى وأوّل ما يطالنا في ذلك ما عنون به الشافعي – رحمه الله – بابا من أبواب رسالته الأصولية إذ قال :"باب الصنف الذي يبيّن سياقه معناه ".[16]

أمّا ما ورد من نصوص صريحة في الحديث عن السياق فيكاد يتّفق على أسلوب واحد في التعبير عن وظيفة السّياق في بيان المجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات نقل الغمام الزركشي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام قوله "السياق يرشد إلى تبيين المجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات ،وكلّ ذلك بعرف الاستعمال ،فكلّ صفة وقعت في سياق الذّم ذمّا وإن كانت مدحا بالوضع كقوله تعالى ((ذق إنّك أنت العزيز الكريم))الدخان 46.[17]

وإهمال السياق يؤدّي إلى الوقوع غي الغلط والمغالطة ،بل لا يليق بكلام الله وكلام رسوله أن يُفهم بمعزل عن سياقه يقول الإمام الشاطبي:" كلام العرب على الإطلاق لا بدّ فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ ،وإلّا صار ضحكة وهزءة ،ألا ترى قولهم :فلان أسد ، أو حمار نأو عظيم الرماد.....وما لا ينحصر من الأمثلة لو اعتبر اللفظ بمجرّده لم يكن له معنى معقول ،فما ضنّك بكلام الله وكلام رسوله".[18]

إنّ النّظر فيما تحمله هذه الشواهد من اعترافات واضحة لدليل على الأهمّية البالغة للسياق في الكشف عن مراد الشارع لدى الأصوليين.

الغرب: حتّى وإن كان للعرب السبق في مجال دراسة السياق فإنّ للغرب الفضل في تحويله إلى نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى ن صوتيّة وصرفية ونحوية واجتماعية ،ووضعوا لها من المعايير والإجراءات ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقيّة النظريات لتي عالجت المعنى بالتحليل والتفسير.

ويمكن الانطلاق في الحديث عن تطوّر النظرية السّياقية عند الغربيين من أفكار مالينوفيسكي عالم الانثربولوجيا المعروف فقد تحدّث على أنّه لا قيمة لكلام إلّا بمدى ربطه بملابسات إنتاجه من زمان ومكان ،وقيم ثقافية وغير ذلك ممّا يسمّيه السّياق الثقافي،[19]وكلّ دراسة لا تراعي هذا القبيل من السياقات محكوم عليها بالفشل .[20]

كما يعدّ عالم اللغة الإنجليزي "فيرث" من أبرز أعلام النظرية السياقية على الرغم من أنّ نقطة الانطلاق الحقيقية لفيرث تجسّدت في الإستفادة من جهود ما لينوفسكي ،فهو امتدادفكري له من حيث ارتكازه على منطلقاته وتحوّله بها إلى

الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تح أحمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت ط/1، 54/3.[16]

ينظر البحر المحيط، الزركشي، تح محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 2000 ،54/3.[17]

الموافقات، الشاطبي ،153/3.[18]

علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط/1، 1982، ص71.[19]

اللغة العربية في المجتمع، م لويس، تر تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص27.[20]

اللغة ومعطياتها وتحديده لمكوّنات السياق ذات الأثر في بيان المعنى على أنّها:-

*** السمات المشتركة بين المشاركين**

أ- العمل اللفظي للمشاركين.

ب- الأعمال غير اللفظية للمشاركين .

ج- الدوافع المشتركة(الغايات).

د- أثر العامل اللفظي في المشاركين :كالإقناع ،أو الألم ، أ الضحك...إذ تحدد عناصر سياق الموقف هذا المعنى المقصود من بين عدد المعاني التي يحملها النص .[21]

وإجمالا فإنّ فكرة السياق تحوّلت إلى نظرية عرفت بالنظرية السياقية على يد مالينوفيسكيوفيرث وأتباعها من أنصار المدرسة الاجتماعية الذين يؤكدون على العنصر الاجتماعي للغة ،ويرون أنّها وسيلة لتنفيذ الأعمال وقضاء الحاجات .[22]

كما لا بدّمن الإشارة إلى ستيفن أولمان وهاليداي وأدونيل وغيرهم من اللغويين والتداوليين الغربيين الذين كان لهم دور في التأصيل للنظرية السياقية.

ثانيا- القطع وصوره

١- مفهوم الإخلال بالقطع

أ- مفهوم الإخلال

الإخلال هو مصدر الفعل المزيد بالهمزة: أخلّ بالشيء يخلّ إخلالا أي أدّى به إلى الخللأو أصابه به و(الخلل) في اللغة: "منفرج ما بين الشيئين"[23] ، و"الخاء واللام أصل واحد يتقارب فروعه، ومرجع ذلك إمّا إلى دقة أو فرجة...فأمّا الفرجة فالخلل بين الشيئين...ومنه الخلّة، الفقر، لأنّه فرجة في حاله، والخليل الفقير".[24].و"الخلل" في الأمر كالوصف فيه، تشبيها بالفرجة الواقعة بين الشيئين وخلّ لحمه يخلّ خلاّ وخلالا: صار فيه خلل، وذلك بالهزال"[25].

*** مفهوم القطع**

لغة : لفظ القطع من مادة (ق، ط، ع) وهي تدلّ في أصل وضعها اللّغوي على الصّرم والإبانة أي إبانة شيء من شيء"[26]

قطعه قطعا ومقطعا وورد في لسان العرب لابن منظور-رحمه الله- "القطع إبانة بعض أجزاء الجرم من بعضا ومنه قولهم فصلا...تقول...قطعنا الحبل قطعا فانقطع"[27].والإبانة قد كون حسية ،أو معنوية.

---

[21] السياق والمعنى، عرفات فيصل المناع، ص26.

[22] لالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله، (أطروحة دكتورته)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،1418ه، ص179.

[23] القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تع أبو الوفاء الشافعي، دار الحديث، القاهرة ،2008، ص495.

[24] مقاييس اللغة، ابن فارس ،2/155-156.

[25] مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الاصفهاني، تح إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1/، 1999، ص290.

[26] مقاييس اللغة، ابن فارس، 101/5.

[27] لسان العرب، ابن منظور ،278/8.

وجاء أيضا في مجمع الأمثال "قطعت جهيزة قول كلّ خطيب "[28].أي قد أُستغني عن الخطب ، وبهذا يكون الكلام القاطع لغة هو الكلام الذي ينهي الجدال أو النّقاش أو الخلاف أو الحوار في موضوع ما، لأي سبب كان هذا الإنهاء.[29]إذن فالقطع يدلّ على إنهاء الشيء ، والمنع في استمراره.

اصطلاحا :استعمل الأصوليون لفظ القطع ومشتقاته ك"القاطع" ،و"القطعي"، و"المقطوع به" في مجالين من المجالات المتعلّقة بالنص.

أحدهما :مجال ثبوت النص :وهو ما يسمّى بالمتواتر.

والآخر :مجال دلالة النص وهوما لا يحتمل سوى معنى واحد فقط كألفاظ الأعداد مثلا.

والقطع في كلا المجالين يعني العلم الذي ينتفي معه الاحتمال مطلقا[30]

وهذا التعريف يدلّ على متهية القطع دلالة واضحة وقوله ينتفي معه الاحتمال لإخراج الظنّ وما دونه من الشك والوهم .

مفهوم الإخلال بالقطع: هو ما يطرأ على اللّفظ فيعدل به عن الأصل من وضعه وهو الإبانة والإفهام، مما يوقعه في الإبهام واللّبس والغموض ذلك لأنّه يصبح محتمِلا عدّة معاني ممّا يخلّ بقطعيته بالحكم وهذا ما يسمّى الاحتمال اللّغوي المخلّ بالقطع.

صور الاخلال بالقطع: موانع القطع هي الاحتمالات الواردة على النّص من كلا مجاليه: الثبوت والدلالة وإنّ بين الأصوليين اختلافا في تحديد عدد صور الاحتمالات اللّغوية المخلّة بالقطع في لغة النّص الشّرعي، فهذا الفخر الرازي الّذي يعتبر مؤسّسا لنظرية الاحتمالات اللّغوية المخلّة بالقطع ينقل عمن تقدمه أنّ ثمّة عشرة أمور تعرض للخطاب اللّغوي، وهي:-

نقل اللّغات.- نقل النّحو والصّرف.- الاشتراك. - المجاز.- النّقل-الإضمار.- التّخصيص. - التّقديم والتأخير.- النّسخ.- المعارض العقلي.11على أنّ حكاية الخلاف في هذا تطول، ولكنّ أساسا من أسس هذا الخلاف راجع إلى النظر إلى الاحتمالات على أنّها ممّا يعرض للفظ معزولا عن سياق استخدامه، لذا غلب على كلاهم ذكر القرائن الحاليّة في سياق مناقشة الرازي في حصره هذه الاحتمالات في الوجوه العشرة المتقدّم ذكرها.[31]

ورأوا أنّ في كلامه تطويلا بغير موجب، لقيامه على تجاهل القرائن الحالية والمقالية.ولّما تبيّن لمن بحث الأمر أن الأساس في الخلاف راجع إلى استفادة القطع إمّا من اللّفظ نفسه، وإمّامن القرائن الحالية الحافّة به، تبيّن معه أن بحث

[28] مجمع الأمثال، العدواني، دار المعرفة، بيروت ،91/5.
[29] إشكالية القطع عند الأصوليين، أيمن صالح،
[30] المرجع نفسه، ص6.
[31] المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين الرازي، تح جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ر، ط/1، 1979 ،547/1.

الاحتمالات اللّغوية المخلّة بالقطع هو بحث سياقي في المقام الأول.[32]

ومما ينبغي العلم به أنّ الاحتمال هو عارض يعتور اللفظ في النّص الشّرعي. وفي كونه عارضا إفهام لأنّه خروج عن الأصل في حاله، أي أنّ الأصل في حال اللّفظ، أن لا يكون على الصورة التي أكسبها إيّاه طرء هذا الاحتمال عليه، ومن ثمّ غلب على من بحث الاحتمال أيضا، أن يورد بإزاءما يقابله من حال، مقابلة الفرع للأصل، وذلك على هذا النّحو:[33]

- احتمال الاشتراك في مقابل أصل الانفراد.
- احتمال النّقل في مقابل أصل الوضع.
- احتمال المجاز في مقابل أصل الحقيقة.
- احتمال الإضمار في مقابل أصل الاستقلال.
- احتمال التّخصيص في مقابل أصل العموم.
- احتمال التقديم والتأخير في مقابل أصل الترتيب.

ثالثا: المشترك اللفظي

تعريفه: لغة :جاء في مقاييس اللغة:"الشّين والرّاء والكاف أصلان:أحدهما :يدلّ على مقارنة وخلاف انفراد.والآخر:يدلّ على امتداد واستقامة .فالأول الشركة:وهو أن يكون الشيء بين اثنين ،ينفرد به أحدهما ،ويقال :شاركت فلانا في الشيء ،أو صرت شريكه،وأشركت فلانا إذا جعلته شريكا لك"[34]

فنجد أنّ المشترك يحمل معنى المخالطة ،والامتداد.

اصطلاحا : عرّفه جلال الدين السيوطي بقوله :"إنّه اللفظ الواحد الدّال على معنيين مختلفين فأكثر،دلالة على السواء عند أهل اللغة ".[35]

وعرّفه الرازي بقوله:"هو اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعا أوّلا من حيث هما كذلك"[36]

وقد أطلق عليه اللغويون العرب القدامى "ما اتّفق لفظه واختلف معناه".[37]

أمّا الأصوليون فقد قدوموا مفهوما أكثر تحديدا فالمشترك" كلّ لفظ احتمل معنى من المعاني المختلفة ،أو اسما من الأسماءعلى اختلاف المعاني على وجه لايثبت إلا واحدا من الجملة مرادا".[38] فيظهر في هذا التعريف مراعاة السياق الذي ترد فيه اللفظة ،في يتعدّد معناها خارجه لكنّ المعنى الذي يحدّده السياق هو المراد في الجملة.

ينظر مفصلا: الاحتمالات اللغوية المخلة بالقطع وتعارضها عند الأصوليين، كيان أحمد حازم يحي نص 106 وما بعدها.[32]
ينظر المرجع نفسه، ص 199 ما بعدها.[33]
مقاييس اللغة، ابن فارس ،649/1.[34]
المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تح محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، 1،1998/370.[35]
المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين الرازي، تح طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ط/1، 1979، 359/1.[36]
فقه اللغة العربية، كاصد ياسر الزيدي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل ،1987، ص141.[37]
شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، شهاب الدين القرافي، تح طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ط/1، 1973، ص30.[38]

والمشترك اللفظي على قسمين كما أورد أبو البقاء الكفوي :"الاشتراك إمّا لفظي ، أو معنوي ،فاللفظي الذي وُضع لمعان متعدّدة ،كالعين ،والمعنوي عبارة عن الذي كان موجودا في مجال معناه كالحيوان".[39]

*** آراء العلماء في المشترك اللفظي**

تباينت آراء العلماء بين مقرّ لوجود المشترك اللفظي في اللغة ،ومنكر لذلك.

فقد ذهب جمهور الأصوليون واللغويون إلى أنّ المشترك واقع في لغة العرب وفي خطاب الشريعة ،ومن أنصار هذا الفريق نجد السيوطي الذي أوجز ذلك "أمّا بأن يضع أحدهما لفظا لمعنى ثمّ يضعه الآخر لمعنى آخر ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين في إفادته المعنيين...".[40]وهناك من أوجب وقوعه ،لأنّ المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية ،فغذا وُزّع لزم الاشترك .كما ذهب بعضهم إلى انّ الاشتراك أغلب. [41]

بينما أنكر الفريق الثاني وقوع المشترك في اللغة مقدّما مسوغات لذلك ومن هؤلاء ابن دستوريه الذي بيّن رأيه في هذه المسألة ما ساقه من حجج في شرحه لفصيح أبي العباس ثعلب لإبطال كون كلمة (وجد) من المشترك اللفظي ،وهذه الكلمة كانت شاهد سيبويه على هذه الظاهرة التي دعاها (اتّفاق اللفظين واختلاف المعنيين)ومثّل لها بقولنا :(وجدت عليه من الموجدة ،ووجدت إذا أردت وجدان الضالّة)،[42]ويرر دستوريه هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أنّ من كلام العرب ما يتّفق لفظه ويختلف معناه ، فظنّ من لم يتأمّل المعاني و لم يلحق الحقائق أنّ هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة . وإنّما هذه المعاني كلّها شيء واحد وهو إصابة الشيء خيرا كان أوشرّا .[43]

ومن أبرز حجج هذا الفريق أنّ الاشتراك خلاف الأصل من كون الألفاظ موضوعة للإبانة ،والاشتراك تلبيس ،وغموض وإبهام ،وذلك كلّه من المفاسد كما في عبارتهم. [44]

وإن كان القول بتحقّق هذه المفاسد ناجم عن افتراض خلوّ الكلام من القرائن الحالية أو المقامية المبيّنة للمعنى المقصود ،ولا يمكن لمن أراد إيصال معنى ألا يخفّه بالقرائن المناسبة.[45] ومن هنا تظهر أهمّية السّياق غي تحديد معنى المشترك اللفظي.

الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب الكفوي، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط/2، 1998 ص97.[39]

المزهر في علوم اللغة وآدابها، السيوطي، ص 369/1.[40]

ينظر الاحتمالات اللغوية المخلّة بالقطع وتعارضها عند الأصوليين، كيان أحمد حازم يحي، دار المدار الإسلامي، بيروت ط/1، 2013 ص 310-311.[41]

الكتاب، سيبويه، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/3، 1988 ،24/1. [42]

ينظر الاحتمالات اللغوية المخلة بالقطع وعارضها عند الأصوليين، كيان أحمد، ص311.[43]

الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، تح عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/2، 1402ه 21/1.[44]

الاحتمالات اللغوية المخلة بالقطع وعارضها عند الأصوليين، كيان أحمد، ص.[45]317

*** نموذج المشترك اللفظي في القرآن الكريم**

من المسائل التي اختلف فيها الفقهاء مسألة تخيير وليّ المقتول ظلما بين القصاص والديّة وحجّتهم قوله تعالى :((ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليّه سلطانا فلا يُسرف في القتل إنّه كان منصورا)) [الإسراء:33].

فلفظ السلطان مشترك لفظي يحتمل القصاص والدّية معا ،إذ جاء في تفسير القرآن لابن كثير أنّ السلطة على القاتل ،وله الخيار في ذلك إن شاء قتله ،وإن شاء عفا عنه بالدية .[46] ومن قال بعموم المشترك معنييه قال بالتخيير ،ومن أنكره أوجب القصاص. [47]

ويبدو أنّ السياق اللغوي للآية ربما قطع بأنّ المراد بالقصاص هنا هو القتل لا الدية ،فقد فُسّر قوله تعالى ((فلا يسرف في القتل)) :بأن لا يُسرف الولي في قتل القاتل بأن يُمثّل به ، أو يقتصّ من غير القاتل [48] . كذا ألّا يقتل بدل وليّه اثنين ،كما كانت العرب تفعله ، وكله مُراد لأنّه إسراف منهي عنه [49].

والمعلوم أنّ ما يشفي صدر الوليّ ويذهب غيض قلبه هو القتل لا الديّة ،لفكان تعلّقه به أكثر ،لذلك فقد خُوطب بالنهي عن الإسراف فيه ،ودلّ السياق اللغوي للآية أنّ المراد من السلطان هو الاقتصار على القصاص ،لا التخيير بينه وبين الدية ،وهودليل على وجود القرينة المرجّحة من الآية نفسها ،وهو من باب تفسير القرآن بالقرآن [50].وإذا نظرنا في موضع آخر من القرآن الكريم نجد أنّ القصاص وهو قتل القاتل قد اعتُبر حياة وليس إسرافا وذلك في قوله تعالى: ((ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب))

{البقرة :179} . وإذا ما عدنا إلى ما يسميه الأصوليون باب "باب دليل الخطاب" أو "المفهوم" ويعنون به إثبات نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه ،وهوحجة عند مالك والشافعي [51].إذن فالنهي عن الإسراف مفهوم من تصوّر إيجاب ضدّه ،وضدّه الإقتصار على قتل القاتل . والله أعلم .

*** الخاتمة**

في نهاية هذه الورقة البحثية يمكننا الخلوص إلى ما يلي:-

إنّ السّياق ونظرا لأهمّيته كان محل دراسة العلماء على اختلاف مشاربهم قديما وحديثا ،ذلك أنّهم يتّفقون على ضرورة الإستناد إليه لتحديد المعنى.

يعدّ السياق نظرية كبرى تحيط بدارس النص الشرعي ،ذلك أنّه يُعتبر العماد الذي يستند إليه الباحث ليقف على مراد الشارع ومقاصده .

حتى وإن كان الفضل يعود للغرب في بلورة ونضج النظرية السياقية ،فإنّ العلماء العرب كانوا على وعي تام

---

[46] ينظر تفسير القران، ص 1117.
[47] القطعي والظّنيّ في الثبوت والدلالة عند الأصوليين، ص495.
[48] تفسير القران العظيم، ابن كثير، ص 1117
[49] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ،195/10.
[50] ينظر: تفسير القرآن بالقرآن، دراسة نظرية وتاريخية، د محمد قجوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط/1 ،2015، ص451.
[51] تقريب الوصول إلى علم الأصول، ابن جزي، دراسة وتحقيق محمد علي فركوس، دار التراث الإسلامي، الجزائر، ط/1 ،1990، ص88.

بمفهوم السياق ،وقد سبقوا بتأصيل نظريته و إن لم تكن متكاملة.

إنّ السياق بمفهومه الحالي يشمل سياق الموقف أو الحال والسّياق اللغوي ،ويُعدّ هذا الأخير الأرض الخصبة التي تظهر فيها المباني بنوعيها الوظيفية والمعجمية لأنّ السّياق ازدواجي الدور ،ذلك أنّه يحصر مجال التأويلات ويدعم التأويل المقصود لذا فإنّه كما قال عنه أولمان الحارس الأمين للمعنى.

تكشف أهمّية السياق أنّ ثمّة وجوها من الانحراف في منهج استنباط الأحكام ،حاصل من بحث مدلول اللّفظ معزولا عن سياقه،وهو انحراف عن حقيقة كون السياق بيئة لغوية للفظ.

استعمل الأصوليون مصطلح القطع ومشتقاته استعمالات ثلاثة وهي:-

١- العلم الناجم عن نفي الاحتمال مطلقا ،وهو اصطلاح الجمهور .

٢- العلم الناجم عن نفي الاحتمال إمّا مطلقا وإمّا لعدم الوقوف على القرينة الدائمة للاحتمال وهو مصطلح الحنفية .

٣- في الجزم سواء نجمهذا الجزم عن علم او تقليد.

قد يعتور اللفظ ما يخلّ بقطعيته ،وهو ذلك الاحتمال اللغوي الذي يطرأعليه فيشوّش إدراك معناه.

يعدّ المشترك اللفظي أحد هذه الاحتمالات اللغوية المخلّة بالقطع ،وهو إمّا لفظي أو معنوي .

اختلف العلماء حول المشترك اللفظي بين مقرّ لوجوده ومنكر له ولكلّ حجّته ودليله.

يبيّن السّياق اللغوي للآية أنّ المراد من السلطان هو القصاص لا الدية والله أعلم.

*** المراجع**

أثر السياق في توجيه المعنى القرآني من خلال جزء عم، محمود حسين الزهري، دار وائل للنشر،الأردن، ط /1 2014.

أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، خديجة الصافي، دار السلام، القاهرة، ط/1، 2009.

الاحتمالات اللغوية المخلّة بالقطع وتعارضها عند الأصوليين، كيان أحمد حازم يحي، دار المدار الإسلامي، بيروت ط/1، 2013

الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، تح عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/2، 1402

الأدلة الاستثنائية، أشرف الكناني، دار النفائس، الأردن ط1،2005

البحر المحيط، الزركشي، تح محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 2000

تفسير القرآن بالقرآن، دراسة نظرية وتاريخية، د محمد قجوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط/1 ،2015.

تقريب الوصول إلى علم الأصول، ابن جزي، دراسة وتحقيق محمد علي فركوس، دار التراث الإسلامي، الجزائر، ط/1 ،1990

الخصائص، ابن جني تح محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت ،1/ 246

دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، عبد الحكيم القاسم، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تح أحمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت ط/1.

السياق والمعنى، دراسة في أساليب النحو العربي، عرفات فيصل المناع، منشورات الاختلاف، الجزائر، ومنشورات ضفضاف، لبنان، ط/1.

شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، شهاب الدين القرافي، تح طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ط/1، 1973.

علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط/1، 1982، ص71

علم الدلالة النظرية والتطبيق، د فوزي عيسى ود: رانيا فوزي عيسى، دار المعرفة الجامعية، دط،2013.

علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط، د ت).

فقه اللغة العربية، كاصد ياسر الزيدي، وزارة التعليم العالي والبحص العلمي، جامعة الموصل ،1987

القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تع أبو الوفاء الشافعي، دار الحديث، القاهرة ،2008.

الكتاب، سيبويه، تح عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط/2.

الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب الكفوي، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط/2.

لسان العرب، ابن منظور، دار صابر، بيروت، ط/1.

اللغة العربية في المجتمع، م لويس، تر تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2003.

مجمع الأمثال، العدواني، دار المعرفة، بيروت.

المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين الرازي، تح طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية ط/1، 1979.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تح محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، 1998.

مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الاصفهاني، تح إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1999.

مقاييس اللغة، ابن فارس ،3تح عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط/2، 1392ه.

المنهج الأصولي ي فهم الخطاب، إدريس حمادي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ،1998.

الموافقات، الشاطبي، تح عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.